ليس من غير أن يتحقّق من أن جميع الرؤوس حوله كانت محنيّة وجميع الجفون مُسْبَلة. وتناول بَلْحة صفراء طازجة ورطبة وسارع إلى دسّها في فمه قبل أن يستعيد أكثرَ السِحَنِ تقوى.

وانتظر بضع لحظات قبل أن يشرع في مضغها على مهل وبلا صوت متراجعاً برقبته حتى إن فكّه كان يلامس صدره عند كلّ مضغة. وكانت أسنانه وهي تغوص على مَهَل في الثمرة تُطْلِق عصيراً سكريّاً أخذ يجمعه فوق لسانه ويُجيله في فمه ثم يتركه ينحدر في بلعومه بتلذُّذ أثيم.

وكان لا يزال يتلذّذ به عندما أنهى «الأب» خطابه آخر الأمر واتّخذ «الإخوة»، باستعجال لم يُحْسِنوا السيطرة عليه، أماكنهم فوق المقاعد العالية وكأنهم رجل احد. وإذ انتشى «مالكوس» بالصخب المحيط به فقد جعل يمضغ بلا حذر، بيد أنه فيما كان يجلس بعد لحظة على جلوس الآخرين فقد أخذت تحدجه عينان مفعمتان بالاتّهام هما عينا الجالس قُبالته، «غارا» ابن أخي «سيتايي». ووجّه إليه «مالكوس» نظرة ملائكية، إلا أن الرجل الذي لم يكن يُطيع غير صوت الواجب انحنى على أذن جاره وهمس له باتّهام؛ وبعد أن حدج الآخرُ الفتى بنظرة الاستنكار عينها غمغم الخبر إلى جاره متابعاً بذلك سلسلة حقيقية من الوشاية حملت نصّ الجريمة من طرف المائدة إلى طرفها الآخر.

ووصل الدور إلى «پاتيغ». واستمع إلى الوشاية بوقار واستنكر هفوة المراهقِ التي لا تُغْتَفَر بتقطيبة من حاجبيه، ولكنه بدا متردِّداً في اللحظة التي انحنى فيها على أذن جاره. فكيف يمكن أن ينصاع، هو الذي تربّى على تقاليد طبقة الأشراف «البارتيين»، لأخسّ أنواع الوشاية؟ ومع ذلك، ولأن «سيتايي» كان بالضبط قد أخذ عليه كثيراً أصله وعجرفته واحتقاره بعض الأعمال، فقد كان يفرض الآن على نفسه تحاشي كلّ تصرّف يميّزه من عامّة المريدين. فتلك هي روح «الجماعة» التي كانت تنظر بعين الارتياب إلى كل تعاطف وكل تسامح وكل رحمة، ويبدو لها كل تصرّف كريم مُدَنِّساً بالغرور.

يا لَـ «پاتيغ» الذي لا سبيل إلى إصلاحه، يا لَـ «پاتيغ» المستعدّ على الدوام